الاستماع إلـــى الأخبار في أوقات الأزمات( )

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (أدام الله ظلكم المبارك).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عودْتَنا يا سماحة الشيخ المفدى التصدي إلى المواضيع التي تمس واقع المســـلمين، وخاصـــة في هذا البلد الذي تكالب عليه رموز الشـــر وأعداء الدين، لا سيما في الآونة الأخيرة.

فيرجى من سماحتكم أن تمنوا علينا بالرأي والنصيحة في هذه النقاط المهمة.

أولاً: الاشتغال التام باستماع الأخبار من الإذاعات المعادية للإسلام ولساعات متأخرة من الليل ناسين ومتغافلين عن أهمية الرجوع والارتباط الحقيقي بالله والتضـــرع إليه، وتذكر الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشـــريف) والذي جيَّشـــت قوى البغي والضـــلال قواها لتدمير دولته الموعودة.

---

(١) صـــدر بتأريخ ٢٦ ذو القعدة١٤٢٣ الموافق ٣٠ ٢٠٠٣ عند تصـــاعد إرهاصـــات الهجوم الأمريكي على العراق الذي بدأ يوم ١٦ محرم١٤٢٤ المصـــادف ٢٠ ٢٠٠٣ وانتهى بسقوط الصنم في ساحة الفردوس وهزيمة الطاغية وأزلامه يوم ٦ صفر١٤٢٤ المصادف ٩ ٤ ٢٠٠٣.

ثانياً: استغلال بعض الاتجاهات المنحرفة لهذه الظروف الصعبة لتمرير ونشر الأفكار الضالة والهدامة، فما هو تكليف المؤمنين أيدهم الله؟

ثالثاً: ما هي نصـــيحتكم للتجار وأصـــحاب المهن الأخرى في حالة حدوث أزمة لا سامح الله؟

بسمه تعالى

لقد بني كيان الغرب اليوم وســـائر الكيانات المادية على أســـاس (الم صالح) وال سعي الم ستمر للازدياد من الثروة كما و صفهم الحديث الشـــريف بأن طالب المال منهوم لا يشـــبع ولا يملأ فمه إلا التراب. وقد أدى بهم هذا الجشـــع والحرص إلى حب التســـلط على الآخرين واستعبادهم والتحكم بشؤونهم للانتفاع بهم من جهتين:

الأولى: نهب ثرواتهم.

والثانية: اســـتخدامهم لتحقيق أغراضـــهم وجعلهم أســـواقاً لتصـــريف بضائعهم.

وتدير هذه السيا سة العدوانية مؤ سسات ضخمة ذات إمكانيات عالية وتقنيات متطورة، وقد رأت هذه المؤ سـ سات أن من ال ضروري الإيحاء لشعوبهم والخاضعين لسيطرتهم بوجود عدو ـــــــ سواء كان حقيقاً أو وهمياً ـــ وخلق ضجة باتجاهه وهذا يحقق لهم عدة نتائج:

١ ـــــ بعث الهمة والحماس والنشاط في العمل بالاتجاه الذي يريدونه هم ومن يتأثر بهم.

٢ ـــــــ خلق المبررات لاستمرار وجودهم وإقناع الناس بصحة عملهم والحاجة إليهم.

٣ ـــ التشويه والتعتيم على أي شخص أو عقيدة يمكن أن تتهددهم.

٤ ـ ـ تمرير الأفكار والسلوكيات المنحرفة والهدامة تحت عناوين براقة ومزخرفة وهي ستأخذ مجراها بسرعة لانشغال الناس بالضجة المفتعلة.

٥ ـــ هدر طاقات الأمة المادية والمعنوية وتبديدها من أجل لا شيء.

وقد قضى الغرب عقودا في حرب (باردة) مع الشيوعية ومعقلها الاتحاد السوفيتي، واستطاع في ظل هذه الحرب أن يحقق الكثير من الأهداف المتقدمة مما لا يسع المجال لشرحها، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي وزوال هذا العدو لم يبق أمامهم ما يبرر الكثير من أفعالهم فاحتاجوا إلى إيهام شعوبهم بعدو جديد يتهدد كيانهم وينذر بزوالهم ذلك هو الإ سلام، وهم ي ستطيعون أن يجدوا الكثير من النقاط التي تقنع المخدوعين والمتأثرين بإعلامهم المزيف بهذا العدو الذي ليس هو عدو للشعوب، بل على العكس هو يريد السعادة والخير وسيادة العدل والمحبة في المجتمع الإنساني برمّته، وإنما هو عدو للمستبدين والمستكبرين والظلمة والمعتدين على الشعوب الذين يريدون إن يخرجوا الناس من عبادة الله الواحد التي تدعوهم إليها الفطرة السليمة

إلى عبادة الطواغيت والآلهة المزيفة التي يصـــنعونها ويجّددون فيها فما إن تملّ البشرية إلهاً حتى يصنعوا له آخر.

ومن أهم و سائلهم لتنفيذ هذه الخطط، الإعلام بكل قنواته الم سموعة والمرئية والمقروءة، وقد سخّروا لها إمكانيات هائلة لت شد إليها الإن سان وتأخذ بمجامع قلبه وعقله وتسلب منه رشده وقدرته على التفكير، ويبقى منصاعاً لها ومصدقاً بها حتى لا تبقى عنده فر صة للتأمّل والتمييز بين ما هو صحيح وما هو فا سد وما هو ضار أو نافع أو حق أو باطل، حتى في ن شرات الأخبار التي يوهمون الناس أنهم ينقلونها بكل أمانة ومو ضوعية وحياد فتراهم يـ ضعون الـ سم في العـ سل ويخترقون أفكارك وقناعتك بل وحتى معتقداتك من حيث لا تشـــعر، ويخلقون فيك الشـــك والحيرة والتردد وهي الخطوة الأولى في طريق الضياع والانحراف.

ولهم في ذلك أســاليب متعددة، منها الالتقاء بناس ضــعيفي الحجة لا يـ ستطيعون إقناع الآخرين بحقهم، بينما يلتقون بـ شخص قوي الحجة في الباطل، أو يوجهون أ سئلة إلى طرف الباطل يريدون إيـصال أجوبتها إلى الناس بينما لا يســـألون أهل الحق عما يريد الناس معرفته، أو ينقلون أخبارنا ويعلقون عليها بأنها (لم تثبت من مصــادر مســتقلة)، بينما تؤخذ أخبارهم كم سلّمات وغير قابلة للمناق شة، أو تنقل تف سيراتهم للأحداث بشكل مقنع أما تفسيراتنا فتعرض ممزوجة بالتشكيك، وهكذا.

لذا وأمام هذه الهجمة الشرسة يجب أن نكون واعين حذرين مدققين في الأمور ولا نكون همجاً رعاعاً ينعقون مع كل ناعق، وأشبّه سماع الأخبار من الإذاعات بقراءة كتب التأريخ، إذ من غير المعقول أن نصدق كل ما فيها من غث أو سمين ونحن نعلم أن جملة نقائض فيها، فقد كتب بعضها تزلفاً إلى السلطات ولتبرير أفعالها، وكتب بعض آخر لتأييد عقيدة أو مذهب، وكتب غيرها لتسقيط شخص مخالف وتشويه صورته أو لرفع شخص وتأييده، مضافاً إلى أنها كتبت من وجهة نظر الكاتب التي قد لا تعبر عن الحقيقة وليست مستوعبة لتفاصيل الحدث، لذا فإن الباحث المنصف يحتاج إلى تأمل وغربلة في الكتب وجمع القرائن والأدلة لتمييز الصادق عن المكذوب.

وهكذا يجب أن نكون تجاه ما تبثه وسائل الإعلام فنحن لا نستطيع أن نتخلى عن متابعة الأخبار لأنها حاجة نفسية ملحة ولكن علينا أن نلبي هذه الحاجة بشكل نظيف ومفيد وغير مشوه وليس فيه ضرر، بالالتزام بعدة نقاط:

١ ـ إن الإذاعات متفاوتة في درجة الاطمئنان إليها فبعضها واضح الكيد والتضليل والتشويه وبعضها أقل، فلا بد أن يتفاوت الحذر منها بمقدار درجة الاطمئنان إليها.

٢ ـ الوعي والتأمل في مضمون الخبر والتثبت منه فإن القائمين على هذه الإذاعات المعادية للإسلام فسقة لا ورع لهم، وقد قال تعالى: [يَا

أيها الَّذينَ آمَنُوا إن جَاءكُمْ فَاسقٌ بنَبَأ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصيبُوا قَوْمًا بجَهَالَةٍ فَتُصْبحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادمينَ] (الحجرات:٦).

٣ ـــــــ الرجوع إلى الحوزة الشريفة والواعين المخلصين من المثقفين لمعرفة تقييمهم للخبر والأثر المترتب عليه التزاماً بقوله تعالى: [وإذا جَاءهُمْ أمر مِّنَ الأَمْن أو الْخَوْف أَذَاعُواْ به ولَوْ رَدُّوهُ إلى الرَّسُول وَإلَى أُوْلي الأَمْر منْهُمْ لَعَلمَهُ الَّذينَ يَسْتَنبطُونَهُ منْهُمْ ولَوْلاَ فَضْلُ اللّه عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إلاَّ قَليلاً] (النساء:٨٣).

٤ ـــ عدم المبالغة والإفراط في الاستماع إلى الأخبار، والاكتفاء بنشرتين من إذاعتين مختلفتين مع التعليقات التي تتعقبها فإن العمر ثمين وهو رأس مال الإنسان المعد للتجارة مع الله تعالى، ويستطيع إن يستثمر كل دقيقة وكل ثانية في طاعة الله تعالى بعمل صـــالح ونافع دينياً أو دنيوياً للفرد أو للعائلة أو للمجتمع. وليجرب كل فرد أن قضـــاء عدة ساعات مع نشرات الأخبار هل تعطيه أزيد مما يحصل عليه لو تابع ما اكتفينا به من نشرتين مع تعليقهما؟ فلماذا هذه المضيعة للوقت؟

٥ ـــ إن كثرة الاستماع إلى الأخبار يؤدي إلى التشويش الفكري وانشغال القلب والعقل بالأفكار المتضـــاربة، مما يفوّت على الفرد فرصـــة الازدياد من العلم والمعرفة والتفقه فيما هو ضـــروري له فلا تبقى له همة بمطالعة الكتب والتأمل فيها والانتفاع منها واستنتاج ما هو جديد

ونافع، رغم أن كل مســـلم مطالب بالكثير من القراءات في العقائد والأخلاق والسيرة والفقه والثقافة والتأريخ والأدب والتفسير.

ولو ثنيت لي الوســادة لألزمت كل فرد بقراءة كتاب واحد على الأقل في كل من هذه المجالات كـ(عقائد الإمامية) أو (أصل الشيعة وأصولها) في العقائد و(مرآة الرشــاد) أو (إرشــاد القلوب) في الموعظة والأخلاق و(رسالة عملية مختصرة) في الفقه و(مختصر تفسير الميزان) أو (تفسير شبر) في التفسير و(نفحات من السيرة) في سيرة المعصومين (عليهم السلام) وهذا يمثل الحد الأدنى من الالتزام بقول الإمام الصادق (عليه السلام): (لوددت أن السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الدين).

كما أني من موقع المسؤولية الأخلاقية والشرعية ألزم كل فرد بقراءة كتاب (تأريخ الغيبة الكبرى) لســـيدنا الأســـتاذ (قدس سره) وفهمه وتلخيص أفكاره ومعرفة ما ينبغي علينا معرفته والعمل به وجعل الكتاب محوراً للمناقشـــات والحوارات والمســـابقات وجعل نســـخ الكتاب والكتب المتقدمة هدايا للفائزين.

٦ ـــــــــ ولكي يكون استماعنا للأخبار هادفاً وواعياً علينا أن نتصيد الدروس والعبر منها لندعم بها عقائدنا [لِيَسْـــتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا](المدثر:٣١) فإن الله تبارك وتعالى يوالي الحجج على البشر، لكن غفلتهم وانشغالهم بالماديات واتباع الهوى يصدهم عن الاتعاظ بها، فعلى الواعين إلفات نظرهم إلى ذلك، واذكر لكم

مثالاً واحداً ذكرته في إحدى محاضـــراتي، ففي صـــيف ٢٠٠٢م اجتاحت أوربا موجة من الفيضـــانات، أتلفت الكثير من الأنفس والممتلكات وشرّدت الآلاف وكلّفت الملايين من الأضرار، خصوصاً في ألمانيا والنمســـا وجيكوســـلوفاكيا، وعجزت تكنولوجيتهم التي صـــوروها وكأنها الذراع التي لا تعجز عن شـــيء من مواجهة هذه الكارثة. وهذا درس مهم لمعرفة ضآلتهم أمام الطبيعة التي هي إحدى مخلوقات الله فكيف ينصبون أنفسهم أرباباً على البشر من دون الله تعالى يريدون من الناس جميعاً أن يطيعوهم ويأتمروا بأمرهم؟ فهذا درس استفدناه.

والدرس الأخر الأهم أن التعليقات على الأخبار قالت إن أوربا تحمّل الولايات المتحدة مسؤولية حصول هذه الكارثة لأنها امتنعت عن التوقيع على معاهدة (كيوتو) للمحافظة على البيئة والتي من بنودها عدم تشـغيل المعامل في وقت واحد فأدى عدم الالتزام بها إلى الاحتباس الحراري وارتفاع درجة الحرارة فزيادة الأمطار فحصول الفيضانات، فهذا شاهد معترف به من قبلهم على أن معاصي البشر وسوء تصرفاتهم وفسادهم وانحرافهم يؤدي إلى حصـــول الكوارث الطبيعية لأن الســـنن الإلهية المتحكمة في الكون والمخلوقات واحدة.

فقبل هذا الشاهد وأمثاله لا نستطيع إقناعهم بهذه الملازمة بين (فساد الإنســان وحصــول الكوارث الطبيعية) لأنهم لا يؤمنون بالغيب وتأثيراته

فأرجو ـــ ولا أريد أن أكثر من كلمة أُلزم ـــ من كل فرد من المجتمع أن يسجل يومياً في دفتر خاص ما يمكن استفادته من الأخبار من دروس وعبر وســـأكون أنا والأخوة من فضـــلاء الحوزة الشـــريفة بخدمتهم في مراجعة هذه الدفاتر وتقييمها والاستفادة منها ونشر ما هو نافع منها.

٧ ـ ـ ولكي لا يأخذ الاستماع لنشرات الأخبار وقتاً كثيراً فيمكن جعله مزامناً لعمل أو وظيفة لا تتنافى معه كالأعمال اليدوية الروتينية أو حين تناول الطعام ـــــــ مع عدم الغفلة عن آداب المائدة كالتسمية والحمد لله وغيرها ـــــــ أو حين الاستلقاء للراحة، وإبقاء الأوقات الفعالة للمسؤوليات الأخرى كالعمل لكسب المعيشة والقراءة والعبادة واللقاء بالإخوان وقضاء الحوائج ونحوها.

٨ ـــ تقوية الثقة بالنفس وحسن الظن بالله تعالى والرضا بما قضى وقدّر، فإن المحن والبلايا إن كانت من الله تبارك وتعالى فلا راد لقضـــائه، وإن كانت من مظالم العباد وشـــرورهم، كما لو اعتدت دولة متجبرة على شعب آمن فإن فيه جهتين: جهة منسوبة إلى المعتدي، ونتيجتها الخزي والعار في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة، وجهة منســـوبة للمظلوم وهي مواجهة الظالم بالصبر والإيمان والثبات وحسن الظن بالله تعالى: [إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ] (النحل:١٢٨)، و[إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّـــابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَـــابٍ] (الزمر:١٠)، و[يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُـــرُوا اللَّهَ يَنصُـــرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ] (محمد:٧)،

وكل هذه الأمور تتطلب عزماً وهمة من المجتمع في طاعة الله تعالى ووعياً وفهماً صحيحاً للأمور وتصرفاً سليماً تجاه الأحداث.

إن عدم الالتفات إلى كل أو بعض النقاط المتقدمة يجعل هذه الأخبار تسبب آثاراً تدميرية في المجتمع، منها:

١ ـــــ إضعاف القوة المعنوية وتحطيم نفسية الأمة، وتحقيق العجز عن التفكير فيما هو نافع.

٢ ـــــ بث الشك وفقدان الثقة بالنفس أولاً، وبأولي الأمر ثانياً، وبالدين والعقيدة والمبادئ ثالثاً.

٣ ـ ـ أحداث التفرقة والاتجاهات المتباينة وتمزيق وحدة الصف ونشر الخلافات و(إن من المؤسف حقاً أن تصبح العواطف الدينية لعبة بيد صانعي الحروب النفسية يستخدمونها في المواقف الحرجة ليجنوا هم ثمارها بخبث ودهاء وما فتنة رفع المصـــاحف في صـــفين عنك ببعيد)[١].

٤ ـ ـ خلق أزمات اجتماعية وإرباك اقتصادي يؤدي إلى إهدار الطاقات وتبديد القدرات في أمور قد تكون وهمية أو مبالغاً فيها.

٥ ـــــ تغيير أخلاق المجتمع وسلوكياته وأنماط حياته وأفكاره وفق الرؤية التي يريدون، وهو ما يســـمونه (بالعولمة) و(النظام العالمي

---

(١) عن كتاب (الشائعات وآثارها في المجتمع) للشيخ مرتضى النجفي وكان مخطوطاً حينئذٍ وطبع لاحقاً ضمن سلسلة (نحو مجتمع نظيف).

الجديد) الذي هو ليس بجديد، وإنما قالها فرعون من قبل: [مَا أُرِيكُمْ إِلاّ مَا أَرَى] (غافر:٢٩) وهذا ما يسمونه بـــــــ(غسيل الدماغ) حيث يمارســون تضــليلاً إعلامياً وتشــويهاً وتزييفاً للحقائق حتى يجعلوا الآخرين يقتنعون برؤيتهم التافهة المنحطة.

وأخيراً تذكروا عتاب الله تعالى ومســـاءلتَه قال تعالى: [أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَــاناً وَشَــفَتَيْنِ، وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ] (البلد:٨-١٠)، وقوله تعالى: [إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً] (الإسراء:٣٦)، فهذه الجوارح الموهوبة لنا من الله تعالى لا بد أن نوظفها في طاعته ونحميها من معصيته، وإلاّ فإنها أول الشهود على الإنسان.

وللاستزادة في هذا المجال أو صي بقراءة كتب مثل: (نحن والغرب) و(الشائعات وآثارها التدميرية في المجتمع).

وفي خضم هذه الأزمات ـ ـ ـ أعاذنا الله منها ـ ـ ـ يكون الجميع مطالبين بالتعاون والمودة والرحمة والعطف، وعدم التقصــير في قضــاء حوائج الناس، وقد ذكرت ذلك في مناسبات سابقة، إلا إنني اذكر هنا ما يتعلق بالأزمات الاجتماعية والاقتصــادية فقد روي حماد بن عثمان قال: (أصــاب أهل المدينة قحط حتى أقبل الرجل الموســر يخلط الحنطة بالشــعير ويأكله ويشــتري ببعض الطعام وكان عند أبي عبد الله (عليه السلام) طعام جيد قد اشــتراه أول الســنة فقال لبعض مواليه: اشــتر لنا شــعيراً

فاخلطه بهذا الطعام أو بعه فإنا نكره أن نأكل جيداً ويأكل الناس رديئاً)[٢].

وعن معتب قال: قال أبي عبد الله (عليه السلام): (وقد يزيد السعر بالمدينة كم عندنا من الطعام؟ قال: قلت عندنا ما يكفينا أشهر كثيرة، قال: أخرجه وبعه، قال: قلت له: وليس بالمدينة طعام، قال: بعه. فلما بعته قال: اشتر مع الناس يوماً بيوم، وقال: يا معتب اجعل قوت عيالي نصفاً شعيراً ونصفاً حنطة فإن الله يعلم أني واجد أن أطعمهم الحنطة على وجهها ولكنني أحببت أن يراني الله قد أحسنت تقدير المعيشة)[٢].

فالإمام (عليه السلام) يعطي عدة تعاليم أخلاقية واقتصادية في أوقات الأزمات (منها): مواساة الآخرين ومشاركتهم في الصعوبات.

(ومنها): عدم الإقبال على شراء كميات كبيرة من المواد الضرورية لان تخزين المواد يؤدي إلى ارتفاع الأسعار والإجحاف بغير القادرين عليها بل على العكس فإن المطلوب أن يعرض كل واحد السلع المدخرة عنده في البيت ليساهم في تخفيض الأسعار.

(ومنها): حسن التدبير في المعيشة وعدم الإسراف والتبذير سواءٌ في كمية المواد المستهلكة أو في نوعيتها والمحافظة على الوسط بين الإفراط والتفريط (ومنها): مراقبة الله في جميع التصرفات لأنه [يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ] (غافر:١٩)، و [يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى

(٢) و(٢) وسائل الشيعة: كتاب التجارة، أبواب آداب التجارة،ب ٢ ٣ج ١، ٢.

مِنكُمْ خَافِيَةٌ] (الحاقة:١٨)، فإذا تعاملنا معه تبارك وتعالى بهذا الشكل فإن الكثير من التصرفات ستتغير.

أ سأل الله تعالى أن يجنب الإنسانية جميعاً كل شر وظلم وأن يوحّد قلوبهم على الرحمة والحب وينتقم من كل من يريد بعباده الغوائل وأن يعجل للبشرية بسعادتها المنشودة على يد بقيته الأعظم (أرواحنا له الفداء) وما ذلك على الله ببعيد.

محمد اليعقوبي ٢٦ ــ ذ. ق ١٤٢٣